

أسرار الأحزاب الشيوعية
في العالم العربي

بقلم
عبد المنعم شميس

مقدمة

ماهو دور الأحزاب الشيوعية العلنية والسرية فى تطور الأحداث فى العالم العربى ؟

ولماذا توجد هذه الأحزاب الشيوعية فى بعض بلدان العالم العربى ؟ وماهى القوى التى توجهها نحو أهدافها العالمية ؟

إن أسرار هذه الأحزاب الشيوعية يكشف القناع عن أشياء كثيرة ومثيرة ، فهى تعمل بوحى من قيادات توجهها من الخارج لإحداث انقلابات داخلية لمصلحة الشيوعية العالمية ، وهى تتلقى العون والتأييد من تلك القيادات لمحاولة فرض سيطرتها بالقوة على مصائر الشعب العربى .

وهذه الأحزاب الشيوعية تتلقى توجيهاتها السياسية من قياداتها ، فهى تهادن حين تؤمر بالمهادنة وهى تهاجم حين تؤمر بالمهاجمة . ورغم اختلافات اتجاهات الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى فإن هناك وحدة تربطها دائماً ، وهذه الوحدة هى القيادة الموجهة ، ولذلك فإن هذه الأحزاب تتحرك فى وقت واحد وتنطق بلسان واحد حينما تريد قيادتها إثارة مشكلة من المشكلات .

ثم ماهى الاحزاب الشيوعية العربية ؟

إن الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس سنة ١٩٢٠ لم يكن فيه مصرى واحد بل كان يضم اليهود واليونان والطليان، والحزب الشيوعى السورى واللبنانى بدأ عمله معتمداً على الارمن . والحزب الشيوعى العراقى يعتمد على اليهود والارمن .

وهناك ارتباطات أخرى بين هـــذه الأحزاب الشيوعية وبين الصهيونية العالمية وقد ظهر أثرها واضحاً فى محاولات شتى ، فقد طالبت سنة ١٩٤٨ بإنهاء الحرب بين العرب واليهود والانسحاب من فلسطين قائلة أن حرب فلسطين أرادتها البورجوازية والاقطاع فى مصر والأردن كما قالت أن حرب فلسطين حرب استعمارية .

وتمادت الشيوعية العربية المأجورة فى افتراءاتها حتى أنها طالبت فى بعض منشوراتها سنة ١٩٥٠ بتأييد التقسيم لفلسطين ، وإقامة دولة عربية اقتصادية مع إسرائيل وصديقة للشعب الصهيونى . ومعنى ذلك أن هناك صلة وثيقة بين الشيوعية العربية والشيوعية الصهيونية ، وأن مصدر الإلهام فيهما واحد .

ورغم ظهور مثل هذه الآراء فى فترات مختلفة فإن القيادة العليا للشيوعية العالمية تصدر أوامرها أحياناً بتنفيذ رأى سابق والدفاع عن فكرة يؤمن بها الشعب العربى . فقد ظهر فى بعض الاحيان رأى شيوعى يعارض قيام إسرائيل أساساً وقد يظهر غداً رأى يؤيد قيامها ويؤيد حمايتها .

إن الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ليست إلا فئات مأجورة تستخدم فى الوقت المناسب لمحاولة تقويض دعائم القومية العربية ومحاولة هدم كيان الشعب العربى .

إن هذه الاحزاب أسماء ليست لها مسميات . فالحزب الشيوعى فى إسرائيل مثلا الذى تتعاون معه قيادات الشيوعية العربية لا يزيد عدد أعضائه عن خمسة آلاف شخص . فهل يعقل أن يكون هناك حزب فى بلد يضم أكثر من مليون ونصف مليون شخص وعدد أعضائه خمسة آلاف ؟!

إن هذا الحزب ليس إلا شكلا من الأشكال التى يراد بها اقتناص ما يمكن اقتناصه من مكاسب الشعب العربى لحساب الصهيونية والشيوعية العالمية .

وقد ذكرنا أن هذه الاحزاب أسماء لغير مسميات ، والدليل على ذلك هو أن أعضاء الحزب الشيوعى السودانى طبقاً لإحصائيات القيادة الشيوعية العليا يبلغون ألف عضو . أما فى لبنان فعددهم عشرة آلاف وفى العراق والأردن يبلغون ألفاً . وفى مصر وتركيا معاً يبلغ عددهم ثلاثة آلاف . ولسنا ندرى لماذا حاولت القيادة الشيوعية العليا أن يجمع أعضاء الحزب الشيوعى المصرى والتركى فى قائمة واحدة ، فهناك أشياء غريبة مبهمة تحاول الشيوعية العالمية دائما وضع الأستار حولها .

وفى هذا الكتاب محاولة لتوضيح حقيقة الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى وما يحيط بها من أسرار .

الحزب الشيوعى المصرى

تأسس هذا الحزب عام ١٩٢٠ وظل أكثر من ربع قرن يعتمد اعتماداً كلياً على اليهود واليونان والايطاليين وكان مؤسس الحزب الشيوعى المصرى يهوديا اسمه جوزيف روزنتال وبقيت عائلة روزنتال تلعب دوراً قيادياً فى الحركة الشيوعية بعد ذلك .

وكانت متصلة بالحزب اليهودى الشيوعى فى فلسطين حتى ظهرت فى مصر أسماء ليهود شيوعيين من فلسطين كان أبرزهم ناحوم بخشنسكى الذى كان عضواً بارزاً فى الحزب اليهودى الفلسطينى ثم عين للإشراف على الحركة الشيوعية فى مصر .

وفى سنة ١٩٤٢ حدثت محاولة لتجديد الحركة الشيوعية ولم صفوفها وعين لها يهودى إيطالى يدعى هنرى كورييل الذى وحد المنظمتين الشيوعيتين فى حزب شيوعى واحد باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والتى سميت اختصاراً « حديتو » وهو الاسم الحركى للشيوعيين المصريين فى ذلك الوقت .

وقد كان للحزب الشيوعى المصرى دور خطير فى المسألة الفلسطينية فقد نشر فى نشرة الوعى السرية بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٩٤٧ مقالا بعنوان

المشكلة الفلسطينية قالت فيه « إذا اعترفنا بحقيقة تكوين اليهود فى فلسطين كأمة فلا يمكن أن ننكر عليها حق الانفصال عن الأمة العربية وتكوين دولة يهودية فى جزء من البلاد » .

واستمرت الحركة الشيوعية المأجورة التى يرأسها اليهودى هنرى كوريل تروج هذه الأفكار والمبادئ فأصدرت فى ٢٩ يوليو سنة ٤٨ بياناً قالت فيه .

« إن الاستعمار البريطانى المجرم هو الذى خلق مشكلة فلسطين فليس من المعقول أن نرسل قواتنا إلى فلسطين ونترك أوطاننا رازحة تحت أقدام القوات الاستعمارية .

وليس من المعقول أن نرسل قواتنا لمحاربة اليهود فى فلسطين بينما نترك فلسطين بأسرها تحت رحمة القوات البريطانية ، تنبهوا ، استيقظوا لمؤامرات الاستعمار وحلفائه الخونة واحذروا الوقوع فى دعاياته المضللة التى تستهدف صرفكم عن طريق الكفاح وتحويل صراعكم الوطنى إلى صراع عنصرى عقيم إن هذه الحرب العنصرية حرب ظالمة يوجهها الاستعمار والخونة ضد مصالح العرب » .

هكذا كانت تصور الشيوعية حقيقة كفاح الشعب العربى ضد الصهيونية فهى تريد أن تصرفه عن مقاومة اليهود الذين تدفقوا إلى فلسطين وأعدوا جيوشهم للاستيلاء عليها لحظة انتهاء الانتداب البريطانى وقالت الشيوعية الأخيرة .

إن الاغتصاب الصهيوني ليس إلا حرباً عنصرية دينية يجب أن توقف وتعللت فى ذلك بضرورة محاربة الاستعمار ذاته فى فلسطين ولعلها لم تتوقع أن الاستعمار البريطانى سيخرج فعلا من فلسطين وتركه لقمة سائغة للصهيونية بل إن هذا البيان الشيوعى المصرى تجاهل كل شئ حتى وعد بلفور الذى وعده لليهود بإقامة وطن قومى فى فلسطين .

ولم يقف الحزب الشيوعى المصرى عند هذا الحد بل إنه كتب فى نشرة اسمها صوت البروديتاريا بتاريخ يناير سنة ٤٩ مقالا جاء فيه .

« مقدمة: فى ١٥ مايو سنة ٤٨ غزت جيوش البلاد العربية فلسطين هناك حرب قائمة فى الشرق الأوسط منذ ٧ شهور ولكننا إذا درسنا هذه الحرب بتعمق لوجدنا أنها مجرد حرب عنصرية .

(ا) لقد أملى الاستعمار البريطانى هذه الحرب وأعدلها منذ سنين طويلة ليدافع عن مركزه فى الشرق الأوسط .

(ب) إن هذه الحرب تحرم البرجوازية العربية .

(ج) إن هذه الحرب واحدة من مصادر الحرائق الكثيرة التى تشغلها الرجعية العالمية .

(د) وأخيراً فإن هذه الحرب موجهة اليوم ضد الخطر الذى تمثله البروليتاريا الثورية فى فلسطين .

واستمرت هذه النشرة تحلل عناصر الخيانة عنصراً عنصراً وتحاول

أن توهم القارىء بجدوى البحث لمثل هذه النقط السوداء وطالبت العمال المصريين بإرغام البرجوازية المصرية على الانسحاب من الأراضى الفلسطينية كما طالبت بانسحاب الجيوش العربية كلها من فلسطين .

وفى سنة ٤٩ ، ٥٠ أصدر الحزب الشيوعى المصرى تقريراً جاء فيه فصل بعنوان « غزو فلسطين » وقالت إن حروب فلسطين سنة ٤٨ جاءت محققة لإرادة البرجوازية والأقطاع فى مصر .

وهذا الكلام الذى بذل الحزب الشيوعى المصرى كل جهوده لكتابته يؤكد أن الصهيونية والحزب الشيوعى فى إسرائيل كانت وراءه بل إنه لوكلف الحزب الشيوعى الاسرائيلى بكتابة تقديرات عن حرب فلسطين لخجل عن كتابة مثل هذه الآراء الغريبة التى تقول مرة أن الجيوش العربية غزت فلسطين وتطالب مرة أخرى بوقف الحرب وسحب هذه الجيوش أو أن الحرب كانت موجهة ضد خطر البروليتاريا الثورية فى فلسطين بل إن الحزب الشيوعى المصرى تمادى فى التخريف فقال فى فقرة من بيانه الذى صدر سنة ٤٩ ، ٥٠ « إن الجيش المصرى يتمرن على القتال استعداداً لقتال ضد الاتحاد السوفيتى » .

ومن الواضح أن هذه البيانات ليست إلا نماذج للخيانة البشعة والإسفاف الفكرى المخجل ولكن الحزب الشيوعى المصرى الذى كان يتزعمه هنرى كوريل لم يكن يخجل من تسويد بضع صفحات بمثل هذه الكلمات .

وظل هذا الحزب يسير فى طريق الخيانة ويعبر عنها فى كل مناسبة

فى سنة ٥٢ قامت فى مصر حملة تبرعات للاجئين الفلسطينيين ونشرت جريدة راية الشعب السرية بياناً قالت فيه « إن قطارات الرحمة لن تحل مشكلة اللاجئين ولكن الحل هو الكف عن الأحقاد العنصرية ضد اليهود المساكين الذين عانوا طويلا من الاضطهاد فى فلسطين »، وهؤلاء الشيوعيون فى تبعيتهم الذليلة للشيوعيــــة الدولية لم يدوسوا فقط على حقوق العرب بل كانوا أجراء أذلاء للصهيونية العالمية .

وفى مؤتمر شعوب الشرق الأدنى والأوسط الشيوعى الذى انعقد فى بيروت سنة ٥٣ رفض المؤتمر اتخاذ قرار بشأن قضية فلسطين يقضى باسترداد الأرض المغتصبة رغم أن هذا المؤتمر بحث قضايا فرموزا وفيتنام وغيرهما .

وظهر يوسف حلمى الشيوعى المصرى رئيس حركة أنصار السلام الذى وجه نداء إلى اليهود فى إسرائيل عام ٥٥ قال فيه :

« إن إسرائيل قد وجدت وستوجد وسيستحيل إلقاؤها فى البحر » وقال أيضاً متحديا ٨٠ مليون عربى .

«إن البلاد العربية دخلت فى طور استقلالى جديد لا ينكر حقوق الشعب الاسرائيلى ».

وقال هذا الخائن لنفسه وقومه فى غير حياء .

«فلتبدو الاستعداد للاعتراف بحقوق الشعب الاسرائيلى فى دولته الذى لم يفدنا الموقف السلبي منها إلا أن تبقى حكومتها سلاحاً فى يد الاستعمار » .

وأين كان الحزب الشيوعى المصرى طيلة فترة الاستعمار البريطانى فى مصر .

لقد كان موقفه يتلخص فى مهاجمة الأحزاب التى كانت موجودة أما بريطانيا فقد اتخذ منها موقف الحياد .

وقد تحالفت الحركة الشيوعية مع حركة الإخوان المسلمين وفلول حزب الوفد سنة ٥٣ و ٥٤ للتكتل ضـــد الثورة محاولة تحطيم هذه الثورة ومتعاونة مع الرجعية تعاونا كاملا .

وكما حدث أن أيد الحزب الشيوعى السورى قيام الجمهورية العربية المتحدة والوحدة بين الإقليمين فإن الحزب الشيوعى المصرى اتبع نفس الطريق بل إنه أحياناً كان يكتب نفس العنوانات التى تكتب فى الحزب الشيوعى السورى فكتبت بياناً طويلا عنوانه عاشت الجمهورية العربية المتحدة ، وقال فى هذا البيان :

« وعيد الجمهورية العربية المتحدة هو فى الوقت ذاته عيد البشرية التقدمية كلها وثمرة من ثمرات كفاحها وهو عيد الشعوب المكافحة ضد الاستعمار وضد تجار الحروب» وبعد أيام فى يوم ظهور نتيجة الاستفتاء الشعبي أصدر الحزب الشيوعى منشورا جاء فيه .

« اليوم وقد أعلن الشعب العربى فى مصر وسورية إرادته .

اليوم وقد ولدت الجمهورية العربية المتحدة بإرادة الملايين وانتخبت الرئيس جمال عبد الناصر بإجماع رائع » .

اليوم يزف الحزب الشيوعى المصرى التهانى للشعب العربى » .

وظل الحزب الشيوعى يصـــدر المنشورات واحداً تلو الآخر مستبشراً قيام الجمهورية العربية المتحدة .

وبعد أسبوعين من قيام الوحدة صدرت التعليمات بتغيير النغمة وبدأ الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة وفى مدى أسبوعين تدهورت الحالة الاقتصادية فى البلاد وأصبحت تسير فى صالح المؤسسات الرأسمالية كما تقول بيانات الحزب الشيوعى المصرى .

ونحن لم نسمع حتى الآن بدولة يتبدل وضعها الاقتصادى خلال أسبوعين ولكن هكذا بدأ الحزب الشيوعى يهاجم الجمهورية العربية المتحدة . .

وبعد أن كان هؤلاء الشيوعيون يقولون إن التحرر جسر يعبر عليه إلى الوحدة أصبحوا يقولون أن الوحدة مؤامرة استعمارية .

بل إن هذا الحزب المأجور العميل الذى كان يؤيد القومية العربية ويقول إن الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية لاينبغى أبداً أن تعرقل طريق الوحدة الشاملة العربية هذا الحزب بدأ يسن أقلامه الحاقدة ضد الوحدة وضد القومية العربية ووضع شروطاً غريبة للوحدة العربية من بينها هذا الشرط الذى يقول :

يجب أن نضع فى الاعتبار الخصائص الاقليمية للبلاد المتحدة حتى لاتلغى شخصيتها أو تضعفها .

وبعد أن كان قيام الجمهورية العربية المتحدة هو عيد البشرية التقدمية كلها ، كما قال الحزب الشيوعى المصرى وبعد أن كان الاتحاد هو وحدة طريق التكامل والنمو والتطور الاقتصادى، وبعد أن كان جمال عبد الناصر عملاقا من نسج الأساطير . .

بعد هذا كله أصبحت الجمهورية العربية المتحدة (دولة بورجوازية يحكمها كبار الرأسماليون ضد مصلحة الشعب) .

هكذا كان يعمل الحزب الشيوعى المصرى فى الخفاء . . وهكذا كان يحاول اللعب على الحبل ، ويحاول الوصول إلى أهداف وضيعة حقيرة أدركها الشعب بفطرته الداعية ، ولم يمكن الخونة من الوصول إلى شىء مما يحلمون به .

الحزب الشيوعى السورى

فى عام ١٩٥٤ خرج الشيوعيون السوريون من نطاق السرية والعمل غير المشروع الى العمل جهاراً نهاراً . وأسس خالد بكداش الحزب الشيوعى السورى ، وحاول بكداش خداع الشعب فأعلن أن الحزب وطنى تقدمى أكثر منه حزباً شيوعيا .

واستطاع خالد بكداش بمعاونة الشيوعية العالمية . واستغلال الظروف الداخلية فى سورية فى ذلك الوقت من النجاح فى الانتخابات ، وأصبح عضوا فى البرلمان السورى ، ورغبة منه فى تغطية موقفه الدنىء ، أعلن فى البرلمان (أن سورية بلد يدين بالقومية العربية ، ولا يدين بالشيوعية ، وستبقى سورية دائما على هذا الحال) .

وبذل خالد بكداش محاولات كثيرة لخداع الرأى العام السورى ، زاعماً أنه رجل قومى عربى . بل إنه لعب دوراً أخطر من المزاعم حيث أسقط من برامجه كل المطالب الاشتراكية والتقدمية ، ولم يطالب بالإصلاح الزراعى ليحظى بعطف كبار الاقطاعيين الذين كانوا يتحكمون فى مصائر الشعب السورى ويمتصون دماءه .

وعن طريق الخداع والكذب والتمويه ، استطاع خالد بكداش

تركز جهوده فى اجتذاب بعض المنظمات بطرق مختلفة وملتوية ، ودخل فى المنظمات النقابية محاولا وضعها تحت سيطرة الشيوعية العالمية ، والتزم فى ذلك جانب الاعتدال والحذر فى سياسته حتى لايناصب القوى الشعبية العداء .

وفى صيف ١٩٥٧ حل الحزب الشيوعى السورى تحت ضغط قوى الرأى العام الذى كشف أساليب ووسائل خالد بكداش .

وفى نفس الوقت الذى حل فيه الحزب الشيوعى السورى الذى كان يتزعمه خالد بكداش قفز عفيف البذرى الى منصب القيادة العامة للجيش السورى بعد أن عقد خالد العظم الذى كان وزيراً للدفاع فى ذلك الوقت اتفاقيات اقتصادية وعسكرية فى موسكو . وقالت الصحافة اللبنانية أن عفيف البذرى عضو فى الحزب الشيوعى وسكت البذرى أياما ثم أعلن تكذيبه لهذا النبأ بعدأن تلقى تعليمات من قيادته العليا وقام عفيف البذرى بخداع الرأى العام فى سورية فترة طويلة حتى أنه استطاع أن يظهر فى أفق السياسة كنجم من نجوم الوحدة بين سورية ومصر . وظل سر عفيف البذرى مختفياً فترة طويلة حتى تكشف للرأى العام أنه شيوعى حقيق .

ولم يكن الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان هو حزب خالد بكداش فالمعروف أن هذا الحزب تأسس حوالى ١٩٢٥ ولم يظهر فى زعامته خالد بكداش إلا بعد أكثر من عشر سنوات .

وفى سنة ١٩٤٤ انقسم الحزب إلى قسمين أحدهما الحزب الشيوعى

السورى والثانى الحزب الشيوعى اللبنانى . وقدتم هذا التقسيم فى بيروت .

وقد ظل هذا الحزب طيلة ٣٥ عاما لا يعترف بالأمة العربية بل كان موقفه هو مقاومة فكرة القومية العربية وكان يلتقى فى ذلك مع القوميين السوريين ولكن حدث بعد التطورات السياسية التى ضمنت انتصار القومية العربية أن أعلن الشيوعيون السوريون واللبنانيون تأييدهم المطلق لها وكان هدفهم من ذلك الابتعاد عن الصدام مع جماهير الشعب العربى .

وبدأ خالد بكداش يهاجم الصهيونية أيضاً حتى يستجلب عطف جماهير الشعب العربى .

ومن الواضح أن الأحزاب الشيوعية العربية تتميز بالمرونة التى تمكنها من تغيير أفكارها بين يوم وليلة ويطلق الشيوعيون على هذا العمل اسم تلاؤم للتكتيك ولذلك فانه ليس من المستبعد فى أى لحظة أن تحمل الأحزاب الشيوعية العربية شعارات متلائمة مع تيار القومية العربية .

لماذا هرب بكداش ؟

فى شهر فبراير سنة ١٩٥٨ أثناء استفتاء الشعب فى سورية عن قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً لها أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السورى أوامرها إلى فروع الحزب بتأييد الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية وكتب فرع الحزب الشيوعى فى حلب بيانا جاء فى مطلعه « عاشت

الجمهورية العربية المتحدة قاعدة للنضال ضد الاستعمار ومشاريعه ، وأصدر فرع الحزب فى حمص بيانا قال فيه « أن القوى الوطنية ساهرة موحدة الكلمة والإرادة وأن الشعب مصمم على الدفاع عن جمهوريته العربية وعلى توطيدها وتحقيق ازدهارها حتى تصبح حجر الزاوية لبناء صرح الوحدة العربية الكاملة المتحررة » .

وكتبت إحدى الصحف الشيوعية عبارة لافتة قالت فيها : « بعد أربع وعشرين ساعة يضيع آخر أمل للاستعمار .

إن الشعب العربى الأصيل يعرف كيف يواجه العدو متحداً وهو لهذا سوف يحقق غدا أكبر معجزة فى تاريخ الشرق العربى . والنصر للشعب » .

وفى يوم الاستفتاء ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨ صدرت جريدة الحزب الشيوعى السورى وفى صدرها عنوان هو « عاشت الجمهورية العربية المتحدة » وقالت فى هذا المقال « فلنجعل من يوم ٢١ فبراير (شباط) الذى سيصوت فيه شعبنا على قيام الجمهورية العربية المتحدة وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً لمظاهر وطنية عربية كبرى تنزل الرعب بقلوب المستعمرين وتثبت لهم أن جميع مؤامراتهم ودسائسهم نصيبها الفشل المحتوم » .

ثم ماذا ؟ ..

لقد هرب خالد بكداش . السكرتير العام للحزب الشيوعى من الجلسة

التاريخية التي عقدها المجلس النيابي السوري لإقرار الوحدة إقراراً رسمياً بل إن هذا السكرتير العام هرب من البلاد كلها وكان هذا من أغرب أسرار هذا الحزب الشيوعي .

فبيانات الحزب ومقالات صحيفة تكتب أناشيد الولاء والوفاء للجمهورية العربية المتحدة . وتضع أكاليل النصر فوق رأس القائد العربي الظافر ، وحينما تحين ساعة الإقرار الرسمي لقيام هذه الجمهورية يهرب زعيم الحزب الشيوعي السوري .

ثم يظهر في بعض دول أوروبا الشرقية ليظهر على حقيقته كعميل ويتزعم حملة الدس والشتم .

ولا تكاد ثورة العراق تقوم حتى يظهر خالد بكداش بعد شهور من قيامها في بغداد متزعما الشيوعيين العراقيين محاولا مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة .

بل إنه يظهر مرة أخرى في بكين ويخطب ضد الجمهورية العربية المتحدة ولو أننا تتبعنا اتجاهات خالد بكداش الذي كان يذيع له راديو بلغاريا رسميا هجومه على وحدة مصر وسورية والذي استطاع أن يقف فوق منصة الحزب الشيوعي الصيني في بكين لأدركنا أن الشيوعية العالمية التي طلبت إليه تأييد قيام الجمهورية العربية المتحدة ثم طلبت إليه مقاومة قيامها يحمل من الأسرار والألغاز ما يدفعنا إلى إدراك السياسة المرسومة التي توجه الشيوعيين العرب وهناك مرحلة للتسليم الظاهري بمبدأ الوحدة

العربية على أمل أن تكون هذه الوحدة مما يخدم وسائل الشيوعية العالمية. ثم هناك مرحلة أخرى هى مرحلة محاولة مسخ الوحدة وإظهارها أمام الرأى العام بمظهر تستغله أيضاً الشيوعية العالمية .

وبين الموقفين تتضح حقيقة المؤامرة فإن المواطن العادى سيجد نفسه حائراً بين تأييد حار عميق لأفكار القومية العربية وبين مناهضة باهتة لقيام الوحدة العربية وداخل هـــذا الإطار يحدث التشكيل فى الاتجاهات السياسية للدولة العربية .

ومن الواضح أيضاً أن الحزب الشيوعى السورى كغيره من الأحزاب المأجورة لم تكن له مبادىء ولكنه كان عميلا مأجوراً انتهازياً فهذا الحزب لم يطالب مثلا بالإصلاح الزراعى رغبة منه فى مهادنة الإقطاعيين وظل أكثر من ٢٥ عاماً لا يتحدث عن فكرة عربية واحدة ولا يدعو إلى القومية العربية أو ما شابهها .

ثم حدث فجأة أن اعتنق مذهب القومية العربية وأعلن زعيمه خالد بكداش فى البرلمان السورى أن سورية بلد القومية العربية وأن حزبه ليس حزباً شيوعياً بالمعنى المفهوم ولكنه حزب قومى . وحينما تحققت الوحدة هرب من الميدان وصب جام غضبه على القومية العربية والوحدة العربية وقيام الجمهورية العربية المتحدة .

ورغم ضآلة القوة التى تسير الشيوعيين العرب وضآلة عددهم فإن خطرهم جسيم لأنهم عملاء والعميل خطير لأنه يستند إلى قوة خارجية

تحركه وتدفعه وندفع له . ولذلك لم يكن غريباً أن يدعو خالد بكداش في سنة ١٩٣٧ . إلى التعاون مع سلطات الاستعمار الفرنسي في سورية وألقى خطاباً في مدينة حلب قال فيه « أيدنا المعاهدة السورية ـ الفرنسية وأيدنا مساعي الوفد لعقدها بل قمنا بما في المستطاع الاشتراك في تذليل العقبات التي تقف في سبيل عقدها » .

ولم يعترض الحزب الشيوعي السوري بمجرد اعتراض على بنود تلك المعاهدة التي جعلت الشئون السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية في سورية في يد الاستعمار الفرنسي وهكذا هادن الشيوعيون في سورية هذا الاستعمار وأيدوا وجوده . وكان هدفهم في ذلك هو تحطيم النضال العربي وهل هناك ما يمكن أن يكون ألعن من رأي خالد بكداش بعد حريق دمشق الشهير وبعد أن أطلقت جنود فرنسا قنابلهم على البرلمان السوري . هل هناك ألعن من رسالته التي بعث بها إلى المفوض الفرنسي في دمشق وقال فيها « نحن نعلم أن كل هذه الأعمال لا تمثل إرادة فرنسا التي نحبها وتحبنا » .

إن الخيانة هي سمة هؤلاء العملاء وهم يتسترون خلف النسيان ليظهروا بمظهر الأبطال حين يطمئنون إلى أن أفعالهم قد طويت ولم يعد يذكرها الناس ولكن التاريخ لا ينسى والشعوب أيضاً لا تنسى والخيانة رائحتها نتنة فهؤلاء الذي يتغنون بحب فرنسا كانوا يشاهدون العرب الشهداء يتساقطون برصاص الاستعمار الفرنسي وكانوا يرون المناضلين يساقون بقوة السلاح في شوارع دمشق إلى السجون والمعتقلات . .

فماذا فعل هؤلاء الشيوعيون . . . ؟ لقد قالوا لفرنسا . . نحن نحبك ! ! وتذالوا لها .

إن طريق الخيانة ملء بالأقذار . .

وطريق خالد بكداش وأمثاله من الشيوعيين العملاء هو طريق الخيانة القذر لقد اغتصب لواء الاسكندرونة من سورية ومنح لتركيا . . فماذا فعل الحزب الشيوعي السورى . . بزعامة خالد بكداش . . ؟ ؟ هل كتب كلمة واحدة للاحتجاج ؟ . . معذرة فانه قد كتب وثيقة الخيانة وأصدر بياناً دنيئاً قال فيه :

« إن الشعب السورى ليس شعب الفوضى والشغب . . إن الشعب السورى براء من أعمال التفرقة والشغب والتخريب التى يقوم بها بعض المدسوسين والجواسيس المدفوعين وبعض المأجورين . » .

وهكذا أصبح الذين يدافعون عن حقهم فى أرضهم جواسيس ومأجورين . . وأصبح الشيوعيون العملاء الذين سيبيعون وطنهم شرفاء .

وقد حدد سكرتير الحزب الشيوعي السورى فى لواء الاسكندرونة قاسم رضوان رأى الحزب فى جوهر النزاع القائم فى اللواء بقوله :

« إن أهم مايميز الوضع الحاضر فى لواء الاسكندرونة هو حبك المؤامرات ليل نهار لتشجيع التناحر والعداء القوى والطائفى . ويرى المتأمل أن الرجعيين على اختلاف قومياتهم يتفقون مع بعضهم لاستغلال نتاج أبناء الشعب سواء كان المستغل عربيا أو تركيا أو أجنبيا . وفى الوقت نفسه يعملون لتبذر الشقاق والعداء بين جماهير الشعب العاملة . »

ولم يكتف الحزب الشيوعى السورى بهذه الخيانة السافرة بل إنه أيد اتفاقية جنيف التى فصلت لواء الاسكندرونة عن سورية .

وكتب خالد بكداش فى جريدة صوت الشعب الشيوعية سنة ١٩٣٨ مقالا ملعوناً قال فيه :

« ليست فرنسا هى التى خيبت آمال اللواء وآمال العرب .. ليست فرنسا هى التى تراجعت أمام الاستعمار التركى وتخلت عن تعهداتها الدولية .. ورضيت بدوس قرارات عصبة الأمم نفسها . كلا .. فرنسا لم تفعل ذلك .. بل فعل ذلك بعض الدبلوماسيين الفرنسيين . »

ولم تقف خيانات الشيوعيين العرب عند هذا الحد بل إنها تعاونت مع الاستعمار تعاوناً صريحاً .. فى سنة ١٩٤٢ أصبح الحزب الشيوعى السورى من عبيد الجنرال كاترو يسبح بحمده ليل نهار ويرحب به ترحيباً عظيما ويربط بين تحالف الانجليز والامريكيين والفرنسيين مع روسيا .

وقد أصدر خالد بكداش كتاباً فى تلك الأيام سماه «الحزب الشيوعى فى سورية ولبنان.. سياسته الوطنية وبرنامجه الوطنى» توجه فيه بالدعاء إلى «زعيمنا ورفيقنا ، وصديق كل شعوب العالم .. إلى قائد جبهة الحرية والنصر الأكيد .. إلى زعيم أول أيار .. ستالين المعظم »

وطالب بكداش الشعب السورى بالالتفات إلى حركة الجنرال ديجول على أنها تعبير عن إرادة التحرر ، وأن ينظر إلى حركته نظرة عطف واحترام . وطالب الشعب السورى بالولاء لفرنسا . وأكد له

شرعية وجودها فى سورية ولبنان . وطالب الحزب الشيوعى السورى بالثقة والمحبة لفرنسا ومباركة مركزها التاريخى فى الوطن .

وبعد انتهاء الحرب العالمية تذكر الشيوعيون السوريون أن ديجول رجل استعمارى فاشستى صنيعة تشرشل وعميل الدولار ، فكتبوا فى سنة ١٩٤٥ إلى موريس توريز سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى رسالة ذكروا فيها :

« إن الفاشستى ديجول ضرب دمشق بالقنابل وهدم المنازل على أطفالنا ونسائنا . »

وهكذا تتكشف حقيقة هؤلاء العملاء الأجراء الذين تشترى نفوسهم بأقل الدراهم وتباع مبادئهم بين لحظة ولحظة وهم قوم ليست لهم مبادىء إلا إذا كان النفاق والكذب والخيانة مبادىء .

وبالرغم من قيام كل حزب شيوعى بنشاطه على حدة فإنه يحدث كثيراً أن تعقد اللجان المركزية للأحزاب الشيوعية العربية اجتماعات سرية تقرر فيها المبادىء العامة المطلوب تنفيذها من أعضاء الحزب .

وكان أخطر الاجتماعات التى عقدها الحزب الشيوعى السورى والحزب الشيوعى اللبنـــانى ذلك الاجتماع الذى انعقد سنة ١٩٥١ واتخذت قرارات خطيرة أهمها :

١ – إن اليهود أمة لها حق الحياة فى فلسطين ، ويجب تأييد التقسيم وتحقيق الصلح .

٢ - هاجم فكرة وسياسة الحياد الإيجـــابي واصفاً إياها بالسياسة الاستعمارية .

٣ ـ حمل بشدة على الاتجاه القوى الاشتراكى .

وفى سنة ١٩٥٥ طبع هـــذا البيان بعد أن حذفت منه فقرات وأفكار هامة وجعل عنوانه « حزب العمال والفلاحين » .

ولم تقف مؤامرات ودسائس خالد بكداش عند هـذا الحد .. بل إنها استمرت فى ميادين أخرى كثيرة .. حتى وصلت إلى قمتها فى المؤامرة على سورية عام ١٩٥٧ .

مؤامرة الشيوعيين ضد سورية

عندما تمت الوحدة بين سورية ومصر ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة ، بدأت فى دمشق حركة تدمر خافتة من حفنة قليـــلة من الأجانب .. وكان هؤلاء الأجانب هم رجال السلك الدبلوماسى السوفيتى الذين بدأوا منذ اللحظة الأولى يحاربون الوحدة .

كان موقفاً غريباً أن يعارض دبلوماسيون أجانب رغبة شعب صديق ، فقد كانت العلاقات فى ذلك الوقت بيننا وبين الاتحاد السوفيتى علاقة الصديق بالصديق .

وأرسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة إلى رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى السيد نكيتا خروشوف يقول له فيها أن الدبلوماسيين السوفييت فى دمشق يحاربون الوحدة ، ورد خروشوف قائلا : إنهم يؤيدون الوحدة .

وكان هذا الرد بداية المؤامرة الشيوعية على سورية ، فإن تأييد الاتحاد السوفيتى لحركة القومية العربية الناهضة ، وتظاهره بمعاونة العرب ضد القوى الاستعمارية المحيطة بهم ، لم يكن إلا خدمة كبيرة لا للعرب ولكن للشعب السوفيتى نفسه ، فإن العرب تمسكوا بصداقة

الشعب السوفييتي ، ولا زال الرئيس جمـــال عبد الناصر حتى هذه اللحظات يؤكد هذه الصداقة ، وقد قال في خطابه الذى ألقاه يوم ٣٠ مارس (آذار) ١٩٥٩ فى الاحتفال بانتهاء موسم تدريب القوات المدرعة :

ــ وإذا كنا نرحب بالصداقة فإننا سنحارب السيطرة فلا يمكن بأى حال من الأحوال ، أن نقبل لدولة أجنبية ، ولرئيس دولة أجنبية أن يسند فئة قليلة ضئيلة فى بلادنا ضد إجماع شعبنا ، ولهذا أعلناها صريحة واضحة أننا لا نقبل التدخل .

وليس هذا جديداً فى السياسة العربية الحرة التى أعلنها الرئيس عبد الناصر ، وجعل من مبادئها :

ــ نصادق من يصادقنا ، ونعادى من يعادينا .

والسؤال الذى يجب أن نقف عنده طويلا هو :

لماذا عارض الشيوعيون الوحدة السورية المصرية ؟

إن الهدف الأول للشيوعية هو تحطيم القوميات حيثما وجدت ، ولذلك كان تظاهر الشيوعيين بتأييد القومية العربية ، ومناصرتها ، خدعة كبيرة ، لأن الشيوعيين العرب وهم عملاء ، لا يقبلون انتصار القومية العربية ، فى انتصارها القضاء عليهم ، والإجهاز على حركتهم الضئيلة التى تعتمد على التبعية لا على الكفاح الشعبى ، وما دامت القومية العربية تعتمد على القاعدة الشعبية العربية ، فإن الشيوعيين العملاء

سيحاربونها حرباً عقائدية ، لأن الشيوعى التابع لايمكن أن يؤمن بفكرة القومية أى قومية ، ما دام يؤمن بمذهب الشيوعية العالمية .

وواضح أن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى تقوم على مبدأ عدم التدخل فى النظام الاجتماعى لأى من الدولتين ، وقد كان موقف الاتحاد السوفييتى أثناء كفاحنا ضد الاستعمار الغربى ، بجانبنا ، فأيدنا معنوياً وسياسياً ، ولم يحاول بأى حال من الأحوال أن يتدخل فى شئوننا ، ولذلك لم يكن فى الإمكان انتقاد موقف لاتحاد السوفييتى ، أو مواجهة سياسته(١) .

ولكن قيام الوحدة بين سورية ومصر كان بداية لمرحلة جديدة من سياسة الاتحاد السوفييتى تجاه العرب ، فبدأ الدبلوماسيون السوفييت فى دمشق يحاربون الوحدة ، التى تجمع حولها ملايين الشعب العربى فى سورية ، وظهر أن الحزب الشيوعى فى سورية لايقف من الوحدة موقف الشعب العربى فى سورية ، بل إنه يحارب الوحدة ، ويعارضها ، ويتزعم حركة مناوئة للقومية العربية ، فأعلنوها حربا عوانا ، وحربا شعواء ضد الجمهورية العربية المتحدة .

وكان عملاء الشيوعية فى سورية يريدون أن يسيطروا عليها وخيل إليهم قبيل قيام الوحدة ، أنهم يستطيعون ذلك . أو أن الجو قد أصبح مهيئا لانقضاضهم ولكن قيام الوحدة أنهى نشاط هؤلاء الشيوعيين

---

(١) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٣٠ مارس عام ١٩٥٩

العملاء ، وبدأت الصحف تقول حينا بعد حين أن خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعى السورى المنحل ، سافر من دمشق وأنه عاد إلى دمشق ثم تنشر تارة أنه فى موسكو أو بودابست أو وارسو .. إلى آخر القائمـــة .

وكان انتصار الشعب فى سورية ، هزيمة للشيوعيين ، ثم كان قيام الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، تحطيما لآمالهم فى السيطرة ، التى أعدوا لها عدتها قبيل الوحدة ، وجعلوا لهم أبواقا يروجون لهم بمختلف الوسائل ليسهلوا لهم عملية الانقضاض .

وكانت خطة الشيوعيين فى دمشق تهدف إلى إقامة هلال خصيب شيوعى يحلمون به على طريقة أنطون سعادة ، وأصبح خالد بكداش المروج الأول للمؤامرة التى ظهرت نتائجها أخيراً فى بغداد ممثلة فى تلاقى الشيوعيين هناك بعد انتصار الثورة العراقية بثمانية أشهر ، وبعد التخلص من زعماء الثورة الحقيقيين الذين قاموا بثورتهم من أجل مبادئ القومية العربية .

إن المؤامرة التى أصبحت واضحة أمام كل عربى لم تكن خافية حينما ظهرت على الشيوعيين العرب فى دمشق أعراض التسمم بعد انتصار الشعب العربى فى سورية ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة .

فلماذا غضب خالد بكداش عندما انتصر الشعب العربى على الاستعمار؟ ولماذا جعل يتنقل فى عواصم الدول الشيوعية ، مبدياً سخطه على الجمهورية العربية المتحدة ؟

إنه كشيوعي عميل لا يمكن أن يؤمن بانتصارات الشعب العربي ، لأنه يريد انتصار الشيوعية لا انتصار الشعب ، ولأنه يريد استغلال الكفاح الشعبي في سورية من أجـــل التمكين للشيوعية لا من أجل التمكين للحرية .

ومن المعروف أن الحزب الشيوعي السوري كان حزبا عاملا منذ سنة ١٩٥٤ ، فقد كان خالد بكداش زعيم الحزب يعمل قبل ذلك في نطاق غير مشروع ، وقد أعلن رئيس الحزب حينذاك أن حزبه وطني تقدمي أكثر منه حزبا شيوعيا ، وصرح خالد بكداش في البرلمان قائلا :

« إن سورية تدين بالقومية العربية ولا تدين بالشيوعية ، وستبقى سورية دائما على هذا الحال » .

وعلى هذا الأساس بدأ الشيوعيون في سورية يعملون لخداع الشعب

بل إن الحزب الشيوعي السوري إمعانا منه في التضليل أسقط من برامجه كل المطالب التقدمية ، فلم يطالب بالإصلاح الزراعي ، حتى لا يفقد عطف الاقطاعيين وأعوان الاستعمار .

وسار الشيوعيون على هذه الخطة ، التي تهادن القوى السياسية القائمة كاملة ، حتى يصلوا عن طريق ذلك الى بلوغ سياسة الحذر والاعتدال التي تسير بهم نحو أهدافهم الحقيقية .

ثم ظهرت حقيقة الحزب الشيوعي السوري في صيف عام ١٩٥٧ .

حاول أن يتقلد السلطة السياسية فى البلاد وحاول القيام بمناورة توصله إلى هدفه، ولكن التعليمات صدرت للحزب بالرجوع عن هذه المغامرة التى قيل أنها ستكون بمثابة العائق للبلاد العربية الأخرى من الدخول فى الشيوعية، وعرف فى يولية سنة ١٩٥٧، أن موسكو لم تكن ترغب فى القضاء على فرصها فى البلاد العربية الأخرى من أجل طموح الزعيم الشيوعى خالد بكداش.

ولكن الشيوعيين العملاء نجحوا فى عملين هامين:

أولها: أن خالد بكداش استطاع الاتفاق مع عصام الملوك أحد عناصر المؤامرة الاستعمارية على سورية، واستطاع أن يدعوه لحضور مهرجان السلام فى وارسو للاتفاق على الخطوط الرئيسية فى المؤامرة المقبلة التى ظهرت فى شهر اكتوبر ١٩٥٧ فى صورة حشود تركية على الحدود السورية، مما سبق الاشارة اليه.

ثانياً ـ أن خالد بكداش نجح فى وضع عفيف البزرى عضو الحزب الشيوعى فى مركز قيادة الجيش السورى بدلا من توفيق نظام الدين رئيس أركان الحرب للجيش الذى اتهم فى ذلك الوقت بموالاته للسوفييت.

واستمر خالد بكداش يردد ادعاءاته القائلة بأن حزبه ليس حزبا شيوعيا بمعنى الكلمة، وأنه يريد أن تصبح سورية قومية لاشيوعية.

واستغل العميل الشيوعى حركة الشعب ضد الاستعمار لمصلحته فنادى

بعداء الغرب ووصل عن طريق هذا النداء الى الدعوة إلى أن تصبح سورية موالية الاتحـــاد السوفييتى ، واستغل اشتعال القومية العربية استغلالا ضخما ، فنادى بإدخال الأساليب الحديثة والتصنيع فى سورية عن طريق استخدام أساليب الرأسمالية الدولية الديمقراطية ، مستعملا فى ذلك الايديولوجية الشيوعية التى تدعو الى تحكم الدولة فى رأس المال الفردى تحكما مطلقاً .

وحاول الشيوعيون الارتباط بمبدأين . أولهما القومية ، وثانيهما الشيوعية ، ولاشك فى أن محاولة الارتباط بالقومية كان خدعة كبيرة ، لأن الشيوعية والقومية لايلتقيان أبداً ، بل إن الهدف الأول للشيوعية هو تحطيم القوميات .

ولقد حاول الشيوعيون العملاء فى سورية إقناع أنفسهم بأن القومية العربية ليست لها فلسفة اجتماعية أو سياسية تنبع من ذاتها وتجعلها تتحدى الشيوعية ، وعملوا على هذا الأساس الواهى ، وأسرفوا فى التفاؤل ، ، ولكن حركة القومية العربية كانت أقوى من أن يحتملوها ، وكانت فعلا فلسفة اجتماعية وسياسية نابعة من ضمير الشعب العربى .

وحينما دبرت المؤامرة الاستعمارية الأولى التى شرحنا ظروفها وأحوالها كانت القومية العربية التى انتصرت فى بورسعيد تستعد للمعركة وقد وصلت المؤامرة الاستعمارية الى القمة عندما حشدت الجيوش التركية على حدود سورية ، وكان المفروض أن يتزعزع نظام الحكم هناك ، وأن تسقط الحكومة القائمة . وفى هذه اللحظة يشرع الشيوعيون الى القفز الى كراسى

الحكم بعد أن تتهيأ لهم الظروف المواتية ، وذلك فى حالة عجز أعوان الاستعمار عن بلوغ كراسى الحكم .

وكان تقدير الشيوعيين العملاء أنهم أقدر على النجاح من أعوان الاستعمار .

لم يكن فى خيالهم شيء مما يمكن أن يحدث فى سورية إذا هوجمت من تركيا واسرائيل فى وقت واحد ، ولم يقدروا الكارثة التى يمكن أن يتعرض لها الشعب فى حالةوقوع الغزو الأجنبىولكن خيالهم كانمركزا على مكان واحد هو قصر رئاسة الجمهورية فى دمشق . من الذى يصل اليه أولا .

وانتصرت القومية العربية وواصلتقوات الجيش المصرىالى سورية قبل أن يقفز الشيوعيون الى كراسى الحكم لتقف الى جانبقواتالجيش السورى ضد المؤامرة الاستعمارية .

وسقطت المؤامرة الاستعمارية .. وانتهت ، وتم انتصارالشعبالعربى على القوى الاستعمارية .

ولكن الشيوعيين العملاء دبروا أمراً وترقبوا تنفيذه .

بدأ رجال السلك الدبلوماسى السوفييتى فى دمشق يعملون بعد أن انتهى زملاؤهم أعوان الاستعمار .

وانتصرت القومية العربية مرة أخرى . حينما انتصر الشعب العربى فى سورية ، وتمت الوحدة بين سورية ومصر فى فبراير ١٩٥٨ وقامت الجمهورية العربية المتحدة .

وحين تمت الوحدة وقعت فى قلوب الشيوعيين العملاء وقوع الصاعقة .

بدأت المؤامرة الجديدة ليقودها الشيوعيون العملاء وحدهم ضد الوحدة،وكتب الرئيس جمال عبد الناصر رسالة إلى السيد نكيتا خروشوف يبلغه ذلك ، ورد خروشوف بأن رجاله لايعارضون الوحدة .

وبدأ الشيوعيون العملاء يدبرون المؤامرات ضد الوحدة . . فرحل خالد بكداش من دمشق ، ثم عاد إلى دمشق ، وبدأ يجرى اتصالات واسعة فى العواصم الشيوعية .

لماذا ؟ لأن خالد بكداش بدأ يعمل داخل حلقات مؤامرة شيوعية ضد سورية،واستطاع سريعاً أن يجذب إليه عفيف البزرى عضو الحزب الشيوعى .

ثم قامت ثورة العراق : وأيدت الجمهورية العربية المتحدة الثورة العراقية المجيدة منذ اللحظة الأولى ، ولكن الشيوعيين العملاء كانوا يعرفون من هم زملاؤهم داخل مجلس الثورة .

وبدأ استغلال ثورة العراق المجيدة ضد سورية واجتمع الشيوعيون العملاء فى بغداد .

اجتمع خالد بكداش وعفيف البزرى والشيوعيون العراقيون . . والشيوعيون الاسرائيليون أيضاً .

وبدأت رائحة المؤامرة تزكم الأنوف .

ولأول مرة يعرف العالم العربي أن هناك هجرة صهيونية ضخمة بدأت تزحف من خلف الستار الحديدى ، عجب العرب عن الأسباب التى تدفع الدول الشيوعية إلى تنظيم حركة هجرة صهيونية واسعة النطاق إلى اسرائيل، فى الوقت الذى تعلن فيه الجمهورية العربية المتحدة صداقتها للاتحاد السوفيتى .

وظهر أن الشيوعيين العملاء قد اتفقوا على توجيه طعنة إلى القومية العربية المنتصرة ، وقيل أن ملايين من اليهود سوف يهاجرون من روسيا ورومانيا وغيرهما إلى إسرائيل .

كان ذلك أمراً غريباً جداً ، ليست له مقدمات ، ولكن خيوط المؤامرة بدأت تتشابك ، وكان اتفاق الشيوعيين العملاء مع الصهيونيين واضحاً فى تدبير عملية الهجرة الصهيونية الواسعة من البلاد الشيوعية إلى اسرائيل :

وحتى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٩ ظلت الجمهورية العربية المتحدة متمسكة بسياستها التى أعلنتها دائماً ، وهى سياسة عدم الانحياز ، وفى هذا اليوم أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى .

إن الاستعمار يحاول أن يوقع بيننا وبين الدول .. بين الاتحاد السوفييتى مثلا وكلكم تذكرون خطابى فى بور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر وحدث فى هذا الخطاب أننى تكلمت بصراحة عن أوضاعنا وعن سياستنا وعن ثورتنا وبينت الأوضاع والأحوال التى بتقابل وحدتنا وبينت

المؤامرات التى بتوجه نحو الوحدة بين مصر وسورية . . وتكلمت عن موقف الحزب الشيوعى فى سورية من الأهداف الوطنية ومن القومية العربية ومن إرادة الشعب الذى فرض الوحدة . . وقلت فى هذا اليوم أننا لا بد أن نضع الأمور فى نصابها . . وشرحت دائماً وكانت سياستنا واضحة أنها سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز والقومية العربية وإقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى . .

وقلنا بوضوح من أول يوم أننا لن ننحاز إلى الشرق أو ننحاز إلى الغرب ولا لليمين أو لليسار ولا احنا مستعدين نأخذ أوامر من أى عاصمة أجنبية كما كانت الاوامر تعطى فى الماضى .

لن نأخذ أوامر من لندن ولا من باريس ولا من واشنطن ولا من موسكو ولا أى عاصمة من العواصم .. ولكن سياستنا بتنبع من بلادنا ومن أرضنا ومن ضمائرنا . .

أيها الاخوة . . زى ما احنا عارفين وزى ماقلت دائماً سياستنا تنبع من بلادنا وتنبع من ضميرنا .

ودول بيقولوا مثلا . . فيه ناس بيقولوا دول موالين للشرق وفيه ناس بيقولوا دول موالين للغرب . . وهم نسيوا أن فيه حاجة اسمها الجمهورية العربية المتحدة . . وفيه حاجة اسمها القومية العربية . احنا مانكونش ليه موالين للجمهورية العربية المتحدة وموالين للقومية العربية مع صداقتنا وتعاوننا .

أعلنا دائماً أن احنا نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا . . أعلنا دائماً أنا سياستنا هى أننا نريد السلام ولن نقبل الاستسلام بأى حال من الأحوال . . دى شعارتنا ودى سياستنا وكل واحد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة وكل واحد فى جميع أرجاء العالم العربى يعرف هذه السياسة الواضحة .

وكان هـــذا الـكلام واضحا من أول يوم . . وكان هذا الـكلام واضحا دائماً . .

وتكلمت فى بورسعيد . . وبعد هذا بدأت المؤامرات للوقيعة . . والوقيعة بيننا وبين الاتحاد السوفييتى .

إن العلاقات بينناوبين الاتحاد السوفييتى كانت دائماًعلاقات صداقة . وكانت علاقات مبنية على الاحترام المتبادل .. وكانت علاقات مبنية على أن لكل دولة أن تختار لنفسها النظام السياسى والاجتماعى الذى ترضاه وأن كل دولة تتعاون مع عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى .

ولـكن طبعاً بدأت الدوائر الاستعمارية تنتهز الفرص بعد هذه الوقيعة . .

وفى مؤتمر الحزب الشيوعى السوفييتى الواحد والعشرين تكلم المستر خروشوف وعبر عن رأيه باعتباره شيوعى طبعاً نتج عن هذا أيضاً أن بدأت الدوائر الاستعمارية تحاول الوقيعة . .

اللى بيتتبع الإذاعات واللى بينشر فى الجرائد والمقالات وحرب الأذاعة وحرب الأعصاب وحرب الأثير يجد أن فيه ناس وجدوا أن فيه فرصة علشان الوقيعة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة.

احنا فى علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتى كنا دائماً نشعر بالتقدير للتأييد اللى أعطاه لنا الاتحاد السوفييتى فى جميع معاركنا ضد الاستعمار ..

ونشعر أيضاً بالتقدير للاتحاد السوفييتى ولشعب الاتحاد السوفييتى فى معاونتنا فى بناء اقتصادنا ولبناء تصنيعنا . . نشعر أيضاً بالتقدير للاتحاد السوفييتى لأنه وقف معانا ونحن نجابه الحصار الاقتصادى والحرب الاقتصادية .

وطبعاً ده موضوع كان موضوع مهم جداً .. هناك خلافات عقائدية بيننا وبين الاتحاد السوفييتى . . كل بلد لها نظامها الاجتماعى الخاص . وكل بلد لها العقيدة التى تؤمن بها .

ولهذا فأنا تكلمت فى الموضوع بصراحة وبعثت رسالة شخصية إلى مستر خروشوف . . بعد هذا الكلام على الطريقة اللى احنا بنتتبعها دائماً وهى التكلم بصراحة ، وضع الأمور بصراحة حتى لا نعطى لأعدائنا لمن يريدون الاصطياد فى الماء العكر الفرص لينفذوا سياستهم أو الفرص للوقيعة . .

بعثت رسالة شخصية إلى خروشوف وكانت هذه الرسالة تعبر عن الصداقة أو شرح للصداقة التى توطدت بين شعبنا والشعب السوفييتى

وأنها كانت على أساس المساواة وأن لكل بلد ولكل شعب الحق فى اختيار النظام السياسى والاجتماعى ... وأن هذه الصداقة كانت دائما تلاقى التقدير والإقبال والإعزاز من شعب الجمهورية العربية المتحدة .. وأن شعب الجمهورية العربية المتحدة يكن لشعب الاتحاد السوفييتى وللاتحاد السوفييتى الشعور بالود والصداقة ويعز على شعب الجمهورية العربية المتحدة أن يصيب هذه الصداقة أى فتور أو أى تصدع لأننا نحمل للشعب السوفييتى التقدير لمساندته لنا فى أيامنا العصيبة .

وتساءلت فى هذه الرسالة عن موقف الاتحاد السوفييتى بعد خطاب خروشوف من بلدنا وعن مستقبل العلاقات بيننا وعن أى تطور فى سياسة الاتحاد السوفييتى نحو تأييد القضايا العربية للتحرر والاستقلال .

وكنت أرى من واجبى بعد المدة التى قضيناها فى التعاون مع الاتحاد السوفييتى ألا أعطى فرصة للدس والوقيعة وشغلة الأمور حتى تصل الأمور إلى القطيعة بيننا وبين الاتحاد السوفييتى . وكنت طبعاً أتتبع الأنباء فى الوكالات الأجنبية . . الأنبـــاء اللى بتروح روسيا بتقول إن الجمهورية العربية المتحدة حتنحاز إلى الغرب وبدأت تبعد عن الاتحاد السوفييتى وأن الجمهورية العربية المتحدة بتشعر بالخطر الروسي .. إلى آخر هذه المواضيع اللى بتهدف إلى الوقيعة . . والأنباء اللى بتيجى القاهره بتقول إن خروشوف قرر التخلص من جمال عبد الناصر علشان شايف إنه واقف عقبة ضد سياسته . . والأخبار طلعت بره

بتقول إن فيه مؤامرة دبرتها روسيا لاغتيال جمال عبد الناصر وأن يوغوسلافيا لفتت نظر الجمهورية العربية لهذا .

مجموعة من الأكاذيب ومجموعة من الحيل مقصود منها الوقيعة .

وكنا يجب طبعاً أن ننتبه لهذا .. لأن الدول الاستعمارية تريد الوقيعة .. أعوان الاستعمار يريدون الوقيعة . الانتهازيون أيضاً يريدون الوقيعة .. وكل واحد يتربص علشان يقدر يحط هذه المنطقة مرة أخرى ضمن مناطق النفوذ .

واللى بيقولوا أن ده معناه أن السلاح الروسى حيقف .. واللى بيقولوا ده معناه المعاونة والعلاقات الاقتصادية حتقف . اللى بيقولوا أن التعاون الاقتصادى والمشاريع الصناعية حتقف واللى بيقولوا السد العالى مش فاهم إيه .. مواضيع طبعاً تسبب الهيصة .. وعلى رأى بعض الناس البلبلة .

وأنا وجدت أيهـــا الأخوة أن من واجبى أن أتكلم فى هذا الموضوع بصراحة .

ولهذا أرسلت هذه الرسالة إلى المستر خروشوف لأبين له أنه رغم الخلافات والعقائد بيننا .. ولكننا طبعاً بنشعر بالتقدير للشعب السوفييتى للمعونة اللى أخذناها واللى أداها لنا وإذا كان الشعب السوفييتى طبعاً يحافظ على هذه الصداقة فاحنا نرحب بها .. وإن احنا لا نريد أن ينتاب هذه الصداقة أى فتور أو اى تصدع .

إمبارح وصلني رد من المستر خروشوف. واستلمت هذا الرد امبارح يمكن في نص الليل.

مستر خروشوف أيضاً رد على هذه الرسالة بصراحة ووضوح ورد برسالة طويلة من عشر ورقات.

حاقول لكم بعض العبارات اللي جت في هذه الرسالة.

مستر خروشوف طبعاً قابل هذا الروح بروح طيبة وأنا مغتبط جداً فان وجهة نظرنا تلاقت على ضرورة تقوية الصداقة بين بلدينا وتدعيمها بصرف النظر عن الخلافات العقائدية بين بلدينا :

وقال مستر خروشوف في جوابه أن العلاقات الطيبة التي قامت بين بلدينا لعبت دوراً عظيما في الدفاع عن السلام والأمن في الشرق الأوسط ولقد قام هذا التعاون المثمر بالرغم مما بيننا كما هو معروف للجميع من اختلاف في وجهة النظر العقائدية.

وقال ولقد حاولنا دائما أن نقوى الروابط التي تجمع كفاحنا للسلام ضد القوى الاستعمارية كما حاولنا أيضاً أن نبقي خلافاتنا العقائدية بعيداً.

ولقد كان كل منا في هذا يلتزم رأيه الخاص. ولقد وجدت الخلافات العقائدية بيننا من قبل ومع ذلك فإن بلدينا تمكنا من التعاون بنجاح.

طبعا أنا رحبت بهذه الروح الطيبة لأن شعب الجمهورية العربية المتحدة يشعر بالتقدير للشعب السوفييتي ويعز عليه أن ينتاب العلاقات بيننا أي تصدع.

وطبعا أنا اغتبطت أيضاً لأنى شفت الشعب السوفييتى فى زيارتى الأخيرة لموسكو واستطعت أن ألمس العواطف والشعور التى يكنها للجمهورية العربية المتحدة وللعرب جميعاً .

وفى جواب المستر خروشوف قال أيضاً وإذا نظر الانسان إلى الموقف الحالى نظرة عملية لتمكن بسهولة من أن يرى أن أعداء الصداقة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة يريدون فى الوقت الحاضر أن يجنوا أرباحاً جشعة فى الخلافات العقائدية بيننا .

وقال إن الاتحاد السوفييتى والحكومة السوفييتية ناصرت بإخلاص وستناصر بإخلاص كفاحكم العادل ضد الاستعمار ومن أجل الاستقلال وتحقيق الأمانى المشروعة لشعب الجمهورية العربية المتحدة .

وقال إن موقفنا منكم ومن البلد الذى تقودونه لا يمكن أن يتغير مهما كانت هناك أى ظروف سياسية .

وقال ولقد لعب كفاح شعب الجمهورية العربية المتحدة والشعوب العربية من أجل الاستقلال الوطنى والتحرير دورا عظيما فى دعم حركات الحرية الوطنية لدى شعوب أفريقيا وآسيا .. هذا الكفاح العظيم قد حظى بتقديرنا وبتقدير الشعب السوفييتى والشعوب الأخرى المحبة للسلام وبكل إخلاص ناصرناكم وبكل إخلاص سوف نستمر فى مناصرة كفاحكم .

وقال المستر خروشوف أيضاً فى كلامه أما فيما يتعلق بموقفنا من الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة فان الاتحاد السوفييتى لا يرغب فى التدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة .

وأنا حبيت أفصل الأمـــر بوضوح والموضوع بوضوح فنحط سياستنا علنا زى ما بنحطها دائماً علنا .. بنعرف أهدافنا علنا . وبنحدد معالم طريقنا علنا .. وبنفهم أى الألاعيب والمؤامرات اللى بتوضع لوضع هذه المنطقة مرة أخرى ضمن مناطق النفوذ .

تجمع خيوط المؤامرة

ولكن المؤامرة الشيوعية كانت تدبر فى ذلك الوقت .... وكانت تتجمع خيوطها فى بغداد ، لتنقض على سورية .

وليس من الصعب إدراك حقيقة الموقف الذى تتكاتف فيه الشيوعية والاستعمار ضد القومية العربية ، فقد حدث ذلك من قبل فى سنة ١٩٤٨ حينما اعترف الاتحاد السوفييتى بإسرائيل بعد عشر دقائق من اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية .

ولذلك لم يكن من الغريب ان يجتمع الشيوعيون العملاء العرب والاسرائيليون فى بغداد لتدبير مؤامرة ضد سورية

ولم يكن غريبا أن يعلن بن جوريون التعبئة العامة ثم يتراجع عن إعلانه .. ويزعم أن هناك خطأ وقع فيه المذيع الاسرائيلى فى تل أبيب ، وذلك بعد أن استعد الشعب العربى لملاقاة اسرائيل .

ولم يكن هدف الشيوعيين العملاء من اجتماعهم فى بغداد هو فرض السيطرة الشيوعية على العراق لحسب ،بل كان هدفهم الأكبر هو الزحف الشيوعى على سورية .

وقد أصبح عفيف البزرى موظفاً فى الحزب الشيوعى يتقاضى ٥٠٠ جنيه شهريا ، وأصبح الشيوعيون العملاء جميعاً موظفين فى هذا الحزب الشيوعى الذى يتزعمه خالد بكداش وكان هدفهم فى المؤامرة هو القيام بالزحف نحو سورية .

وحين أفلت الزمام من أيدى الشيوعيين المجتمعين فى بغداد انصرفت جهودهم الدموية نحو أبناء الشعب العراقى نفسه فى فظاعة ووحشية .

وبدأ خالد بكداش الشيوعى ينكر أن العراق الآن تحت النفوذ الشيوعى ، وزعم أن النظام الحالى فى العراق هو نوع من البورجوازية الديمقراطية !!

ويبدو أن الشيوعى العميل لايرضى رضاء كاملا عن المجازر الحمراء التى تجرى فى العراق . وأنه يريد إعلان جمهورية شعبية ديمقراطية بطريقة سافرة هناك ، وإذا كان مايجرى الآن فى العراق ليس شيوعية فماذا يكون إذن ؟

ولا يخجل الشيوعى العميل حين يعلن أن حركة التوحيد العربية قامت مع قيام النضال ضد الاستعمار

نعم . . لا يخجل العميل الذى تعاون مع عصام المملوك وعصابة

حسنى البرازى فى سنة ١٩٥٧ وهم أعوان الاستعمار من إعلان هذا الكلام..ليوهم الناس بأن النضال لايكون إلا ضد الاستعمار..أما النضال ضد التبعية . . . اما النضال ضد النفوذ الأجنبي الشيوعى فهو عمل غير مشروع عند خالد بكداش !!

لقد كان مقرراً فى المؤامرة الشيوعية أن يتم الزحف الشيوعى على سورية أثناء الاحتفال بالعيد الأول للوحدة ،ولكن القومية العربية أوقفت الزحف الأحمر ، واستطاعت ثورة الشواف فى الموصل أن تحطم أمل الشيوعيين فى الزحف إلى سورية ، وقد ثبت أن الطيارين الذين استخدمهم قاسم العراق ضد ثورة الشواف التى تمثل ثورة عربية ضد التبعية وضد العملاء وضد الأعوان . . . . كان الطيارون الذين دمروا الموصل وخربوها من الشيوعيين الأجانب .

وكان موقف الشعب العربى فى سورية أقوى من أن تحتمله أعصاب الشيوعيين العملاء فى بغداد ، فقد كان الشعب فى سورية قلعة حصينة لاسبيل إلى الوصول اليها . . .

كان كل مواطن فى كل قرية ، نموذجا رائعاً للعربى الحر الذى لايقبل الاستعمار ولا السيطرة ولا التبعية .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر يذهب إلى أفراد الشعب العربى فى سورية فى بيوتهم فى القرى النائية . ويقف معهم ويحدثهم حديث الأخ لأخيه . . فذعر الشيوعيون العملاء . . وسقطت المؤامرة .

إن يقظة الشعب ووعيه جعلت الشيوعيين العملاء المجتمعين فى بغداد

ينفذون المؤامرة داخل العراق ، فسفكوا الدماء وأزهقوا الأرواح . ولا زالو يعملون فى الشعب تقتيلا حتى هذه اللحظات . .

وأخيراً ردد خالد بكداش صوت سيده ، وقال :

إن عدو العرب سيظل إلى زمن بعيد الاستعمار وحده .

وبكى الشيوعى العميل خوفاً من سوء العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والدول العربية مما تستفيد منه الدول الاستعمارية .

ولكننا لم نحاول إساءة العلاقات مع الاتحاد السوفييتى . . ثم ماهو دخل الاتحاد السوفييتى فى الموضوع إذا كان خالد بكداش وعصابته لاعلاقة لهم بموسكو ؟

أن علاقتنا بالاتحاد السوفييتى قائمة على الأسس التى شرحها الرئيس جمال عبد الناصر مراراً ، وأعلنها مئات المرات .

هذه العلاقات تتلخص فى أننا نحتفظ بمبادئنا ومثلنا ولا نسمح لأية حكومة أجنبية بالتدخل فى نظامنا الاجتماعى ، أو فى سياستنا الداخلية والخارجية .

وقد أعلن السيد خروشوف فى خطابه الذى أرسله للرئيس جمال عبد الناصر فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٩ .

« إن موقفنا فيكم ومن البلد الذى تقودونه لايمكن إن يتغير مهما كانت هناك أى ظروف سياسية »

فلماذا تغير هذا الموقف بعد تكتل الشيوعين العملاء فى بغداد ؟

إن الجواب على ذلك عند خالد بكداش الذى تزعم المؤامرة الفاشلة.

أما ما يجب أن يعرفه الشيوعيون العملاء فهو أن الذى ينتصر دائماً على الاستعمار والتبعية ومناطق النفوذ . . ليس فرداً . . وليس جيشاً . . وليس جماعة من الناس . . ولكن الذى ينتصر وسينتصر هو القومية العربية التى تملك فلسفة سياسية واقتصادية تابعة من ضمير ملايين العرب الذين يتكتلون حول مبادئهم من الخليج إلى المحيط . . وهذه المبادىء هى الحرية والاستقلال والسلام.. وهى الحياد الإيجابى وعدم الانحياز .

الحزب الشيوعى العراقى

تأسس الحزب الشيوعى العراقى سنة ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ووضع هـذا الحزب ميثاقه سنة ١٩٤٤ وثبته سنة ١٩٤٥ ونص هـذا الميثاق على ما يأتى :

• تناضل فى سبيل التقارب والتعاون السياسى بين الشعوب العربية وبين أحزابها وجماعاتها السياسية الديمقراطية من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية لفلسطين والأقطار العربية المستعمرة والمحمية

• تناضل فى سبيل إيجاد حلف شريف أداة تنفيذ لهـذه الغايات

• تناضل فى سبيل التعاون الاجتماعى بين شعوب البلاد العربية وبين منظمات العمال والمثقفين والطلاب فى البلاد العربية .

• تناضل فى سبيل التعاون الاقتصادى بين الأقطار العربية وهذه المقررات التى تحدث عنها الحزب الشيوعى العراقى وأكثرها تتحدث عن التعاون والتقارب بين الشعوب العربية ولم تعرف شيئاً اسمه الأمة العربية والوحدة العربية حتى سنة ١٩٥٦ حينما اكتشف الحزب الشيوعى العراقى فجأة وجود الأمة العربية وجاء اكتشافه بعد اعتراف الحزب الشيوعى فى سورية ولبنان بوجود الأمة العربية بفترة تبلغ أربعة أشهر وكان

ذلك تحت ضغط الواقع القومى الذى أوحى للأحزاب الشيوعية العربية الإبقاء على وجودها عن طريق الاعتراف بما يقرره الشعب العربى من وحدة بين أبنائها .

وقد لعب اليهود دوراً بارزاً فى الحزب الشيوعى العراقى . وقبل أن يتأسس هذا الحزب رسمياً كان يشكل حلقات متباعدة وكانت هذه الحلقات على اتصال بالشيوعيين اليهود فى فلسطين كما كان اليهود الشيوعيون المقيمون فى العراق يقومون بالدور القيادى فى الحزب والمسئول الأول فى اللجنة المركزية الثانية للحزب كان صديق يهودا .

وكان فى الحزب عدد كبير من اليهود كانت لهم مراكز حزبية تنظيمية هامة .

فالمسئول الأول عن العمال فى بغداد كان يهودياً اسمه يوسف زلوف ثم أصبح مسئولا عن تنظيم عمال البصرة .

ومن قادة العمال المسئولين يهوديان هما خرقيل صديق وموشى مراد كوهين .

والمسئول الأول عن تحرير مجلة العصبة التى أسسها الحزب الشيوعى العراقى بين ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ تحت قناع عصبة مكافحة الصهيونية كان يهوديا يدعى يوسف زلخا .

ولجنة الترجمة الرئيسية فى الحزب كان يتولى شئونها ثلاثة من اليهود هم ساسون دلال وموشى مختار وابراهيم شاؤل .

أما اللجنة العمالية للحزب الشيوعي العراقي التي كانت مؤلفة من سبعة أشخاص فقد ضمت أربعة من اليهود هم : سليم منشا عن عمال الأحذية .

موشي كوهين عن عمال الخياطة .

يوسف زلروف عن عمال الصياغة .

حزقيل إبراهيم عن عمال النجارة .

وقد وزعت المسئوليات في قطاعات بغداد بين الشيوعيين من اليهود هم يعقوب كوهين وإبراهيم شاؤل وموريس يعقوب وناجي شاؤل ويونان ولبم ، وغيرهم كثيرون . فكان الشيوعيون اليهود يشكلون نسبة كبيرة بين أعضاء الحزب .

وبعد أن فصل صديق يهود من قيادة الحزب الشيوعي العراقي تولى هذه القيادة ساسون شالومو دلال .

أما المسئول خارج اللجنة المركزية للحزب فهو حزقيل مقام توشجان والمسئول عن الطبعة السرية وطبع المنشورات يدعى يعقوب ماير مصري ومنظم المدارس والكليات يهودي اسمه موسى سليمان ومنظمة النساء في الحزب ببغداد تدعى سعيده ساسون . ومنظمة النساء في لواء السليمانية كانت يهودية تدعى حنينه هارون زلخه .

وكان الدور القيادي في الحزب الشيوعي العراقي لليهود الذين كانوا يشكلون نسبة هامة من مجمع الحزب ولذلك كان هذا الحزب أكثر